عادل عزت

المتصوفون الشعراء في الزمن العصيب

شِعر

الأيادي

المتصوفون الشعراء في الزمن العصيب

عادل عزت

الأيادي

المتصوفون الشعراء في الزمن العصيب

المؤلف : عادل عزت

الناشر : الأيادي للنشر والتوزيع - تليفون : 39 24 476 012

الطبعة الثالثة : القاهرة 2009

رقم الإيداع بدار الكتب : 3552 / 2009

جميع الحقوق محفوظة

الجزء الأول :

١- افـتـتـاحـيـة

٢- القصيدة الأولى - أربع حركات

افتتاحية

هذه أحلامُكُمْ عَبْرَ الليالي : عَتَماتٌ عَتَماتٌ تَخْرُجُ النيرانُ منها، تَبْزُغُ الأهوالُ فيها. عَتَماتٌ لا نَدى يأتي لديها، لا بُحَيراتٌ وها أنتُمْ على الشاطئِ تَخْشَوْنَ المحيطْ .

صَبْوَةٌ عاتِيَةٌ في نَشْوةِ الموجِ ، وأنهارٌ خلالَ الموجِ لكنَّ الليالي جُمِّعَتْ في ذلك الليلِ . إذا رُحْتُمْ تلاشَيْتم خلال الدَّمْدَماتِ السُّوْدِ في أقصَى المحيطْ .

والمُحيطاتُ اخْتِبالٌ تحتَ بَرْقٍ هائلٍ يَفْتِكُ بالصخْرِ عنيداً فادْخُلوا، واطَّهَّروا . سُحْقًا لَكُمْ إنْ لم تموتوا في المحيطْ .

القصيدة الأولىا

"إلىا مظفر النواب"

من نوفمبر 1972 حتىا فبراير 1973

الحركة الأولى

رؤيةُ تَهْوَى التعَرِّي لعيوني. صَعِدَتْ نحو نُجيماتٍ من الزَّقْزَقَةِ الجَذْلَى تصاعَدْتُ. سمعتُ الشهقةَ - الصمتَ لزهرٍ قَطَفوهُ . قد تصاعَدْتُ أشُقُّ العَتْمَةَ الغَضْبَى فيَنْشَقُّ عن الأزرقِ أنغامٌ ، وصمتُ .

غَرَّرَتْ بي ، واسْتَباحَتْني رموزٌ من همومِ الأحْرُفِ الشِّعريِّةِ الغَرْقَى بقلبي فامْتَثَلْتُ .

وَسْوَسَتْ لِي هَمْسَةٌ أن أتمادَىٰ في صعودي . أتمادَىٰ نحو أعتابِ ضياءٍ مستحيلٍ ما اسْتَطَعْتُ .

ما الذي تحملُهُ نَشْوةُ هذا الليلِ؟
مَنْ جاء بهذا الهمسِ يَنْسَلُّ بسلطانِ السُّكونْ؟

كيف جاءت هذه الهاءاتُ من بحرٍ بعيدٍ هَمْهَماتٍ هَمْهَماتٍ ؟ كيف جاءت فاقْشَعَرَّتْ زَغَباتُ الطيرِ في النومِ؟ كأنَّ الصوتَ إذ ينسابُ في هَذِي المساحاتِ ابْتِداءُ للوجودْ .

وكأنّي أسمعُ النبضَ خفيضًا يَبْتدي في جوهرِ الأشياءِ، والإيقاعَ إذ يُنشَرُ في الكونِ نظامًا يتولَّى دورةَ الأفلاكِ، والأنغامَ أرواحًا تعودْ .

بين ذاك الساهِمِ الأعلَى، وهذا الدَّرَكِ المُظْلِمِ يَصَّاعدُ شِعري لشُمُولٍ تَكْمُنُ الغاياتُ لا غاياتِ فيهِ ، وخطوطُ الشيءِ تغدو ساهماتٍ للبعيدْ .

من بعيدٍ خُدْعَةُ الدهرِ، وأهواءُ المآسي، والخياناتُ جميعًا : نُقْطَةٌ سَوْداءُ في فَصٍّ صغيرٍ ضاع في قاعِ المحيطْ .

يتلاشَى كلُّ شيءٍ صائرًا نحو كِيانٍ واحدٍ تَهْفو إليهِ رحلةُ الأرواحِ..... والريحُ خلاصٌ من إشاراتِ الزمانْ .

إنني الإيغالُ في الإيغالِ في هَذِي الفراغاتِ - المعاني دون بحثٍ ، دون غايٍ ، لا مكانْ .

ها هو الحبُّ انْسِيابٌ دائمُ الأنغامِ
لكنّكِ روحي وحدَكِ الزائرةُ اللهْفَىٰ
اشْتِياقًا لمُكوثٍ أبديٍّ قبل أنْ
يأتي الأوانْ .

آهِ والوَجْدُ رسولُ النجمِ للنجمِ غريبٌ
أنْ تُرَىٰ روحٌ به تأوِي ولا تأوِي ،
وتصحو في مَنامْ .

إنني جازَفْتُ فاصَّاعَدْتُ في هذي الفراغاتِ - المعاني خارجًا عن قوةٍ وحشيةٍ يُتْعِبُها أنْ أتسامَى وهْي تُقْعِي في قوانينِ الحَضيضْ .

ما الذي أفعلُهُ حينَ رجوعي لأراضي الليلِ ، والأسواقِ ، والسَّعْيِ البَغيضْ؟

إنني جازَفْتُ فاصَّاعدتُ إذ إنّ هبوطي داخلاً أرضَ المجازاتِ وتعميقِ المتاهاتِ لَحَتْمٌ قادمٌ مادامتِ النَّفْسُ ارْتِعاشًا في العيونْ .

بين ذاك الهادئِ الأعْلَى، وهذا الشَّبَقِ السافرِ تحتارُ الحماساتُ فتبدو رِحْلَةُ الفارسِ خَوفاً فهْوَ حَتْماً يَتَرَدَّى للسَّرابْ .

آهِ لكنَّ الليالي علَّمَتْني شَهَواتِ النخْلِ، والعصفورةَ الْتَذَّتْ بوخزِ الشَّوْكِ، والعذراءَ إذ تحلمُ بالخَمْشِ وأنَّاتِ اغْتِصابْ .

بين ذاك الغائبِ الأعلى، وهذا الأسفلِ الهابطِ إني عالقٌ بين ممات، ونجاةٍ مستحيلهْ .

آهِ لكنّي أُوارِي الهَمَّ في الليلِ، وأَسْتَلْقِي بأرضِ العَبَقِ الماجنِ أرنو لاخْتِلافاتِ الغصونِ البِكْرِ في جَوْفِ الخَميلهْ .

بين قلبي وحصونِ الحَرَسِ الحَرْبِيِّ
تَزْهُوْ رايةٌ للعاشقينْ .

أين شَطٌّ شاردٌ من مُدُنِ الدنيا بعيدٌ
عن أفاعيلِ السنينْ .

تَصْطَلِي أشجارُهُ من حُرْقَةِ العشاقِ
إنْ مرَّتْ ، ومن طَيْفٍ أتاهْ .

أين هذا الشَّطُّ يَحْويني فإني راجعٌ
نحو بلادٍ أغلقَتْ أبوابَها تُدْعَى
الحياهْ .

الحركة الثانية

خَدِرٌ قلبي كذاك العاشقِ المُنْصِتِ
للأحلامِ ، والأغوارِ ، والباحثِ عن عَرَّافةٍ
يَشْكُو إليها ثم ينهارُ بساحاتِ
العبادهْ .

نَشْوَةً كانت صَلاتي، وانْسِكابي في
التسابيحِ جنونٌ، وخيالي بين أنفاسِ
العذارَىٰ .

قد أحبَّتني فتاةٌ خُلِقَتْ من غَبَشِ الصيفِ . لقد كنتُ كدرْويشٍ صغيرٍ حاملاً صُرَّةَ أورادٍ ، وأوهامًا مُعادهْ .

دَفَقَاتُ النهرِ دومًا تحملُ العُذريةَ – الأنوارَ، والكتمانَ ، والسِّحْرَ، فأخطو نحو ليلٍ هَمَجِيٍّ ، وحنيني هُدْهُدٌ يَرْحَلُ للآفاقِ تُرْدِيْهِ الرياحْ .

مِنْ حليبِ الغَبَشِ الصيفيِّ كانت ، وأنا
أَلْغُو كدرويشٍ صغيرٍ أسكنوهُ الحَنْبَلِيَّاتِ
فألحدْ .

وتعلمْتُ أفكُّ الزِّرَّ كاللصِّ فيبدو
فاصلُ النهدينِ خَطًّا عِنْدَهُ حِصْني
تَبَدَّدْ .

قد أَحَبَّتْني فجاءتْ من بلادِ الثلجِ أطيارُ
حيارَىٰ ، والبراري شَقَّهَا عَدْوُ غزالٍ
عاشقٍ ، وانْتَفَضَ العُصفورُ خوفًا من
نجومٍ تتحركْ .

جَعَلَتْني العَتْمَةُ – الأسرارُ أَهْذِي : فَتِّشِي قلبي ففيهِ نَظَراتُ الخيلِ، والغزلانُ إذ تحنو ، وفُلٌّ يَتَشَهَّى، وشَقِيٌّ داخلَ الحانةِ يبكي .

في نقوشٍ بقميصي تختبي بعضُ حروفٍ هَرَبَتْ سِرًّا من الكعبةِ تَبْغِي بيتَ شِعْرٍ راحلٍ تأوي إليهِ .

سَحَبَتْني خُلْسَةً أشباحُ هذا الليلِ
ما خِفْتُ وإذ ذاك رأيتُ الشِّعْرَ سلطانًا
عَلَى كلِّ القبائلْ .

آهِ لكني تراجعْتُ وقلتُ الليلُ مُحتالاً
يُخاتِلْ .

هو مُحتالٌ يُخاتِلْ .

بَيْنَ مَدِّ البحرِ والغاباتِ يَبْني بَيْتَ
شِعْرٍ. بين شَطْريْهِ مَبِيْتٌ للفراشاتِ،
ويَقْسو بحروفِ البيتِ إذ يمزُجُ فيها
العَبَراتْ .

كـــلُّ شـــيءٍ مُـشْـعَـــلٌ وَجْـداً فـــلا تـبـدو سـكـونٌ يـسـتـريحُ الحَـرْفُ في حَـضْـرَتِـها . لـيـلٌ عـمـيـقٌ ذاهـبٌ في كـلِّ ذاتْ .

تَـلْـتَـقِـي القَطْـرَةُ والبُـرْعُـمُ والهَـمْـسُ بتَـفْـعِـيْـلَةِ شِعْرٍ . إنْ تكنْ تَـفْـعِـيْـلةً فـي بـيـتِ حُـبٍّ ظَـلَّ هـذا الـبـرعـمُ الأخـضـرُ سهـرانًا إلى الصبـحِ ، ويأتـي زَغَـبُ الـبُـلْـبُـلِ يَـنْـدَسُّ بـديـلاً لـحـروفٍ ناقصاتْ .

أين بيتٌ شاردٌ من مُدُنِ الشِّعْرِ رقيقٌ
كاخْتِلاجاتِ رموشٍ غافياتْ؟

يستحي إنْ أدخلوهُ في قصيدهْ .

أين هذا البيتُ أُخفي كلَّ حرفٍ فيه وَشْمًا
بضلوعي ، وأنا منتظرٌ مَوْسِمَ صَحْوٍ
للنفوسِ الكاتماتْ .

وأنا حيثُ ازْرِقاقُ النارِ أنهارُ فتنهارينَ والنبضُ انْبِعاثٌ من خلايانا . مساماتي مساماتُكِ . أنفاسُكِ أنفاسي وآهٍ..... شَهْقَةٌ مِنْكِ وتنسابُ البراري في هُيامٍ سَرْمَدِيٍّ . صرخةٌ منّي تُبيحُ البرَّ للغَمْغَمَةِ السَّكْرَى. أَتَى النورُ. أَتَى من مُلْتَقَى الأسرابِ في الليلِ . دَخَلْنا لمساحاتٍ بلا أسْرَى فصرنا كضياعِ الخَفَقَاتِ الخُضْرِ في شطٍّ بعيدٍ كتَسَامِي النورِ نحو النورِ نحو المنبعِ الأقصى. وداعًا يا سنينًا من سُباتْ .

الحركة الثالثة

مِنْ رَحيلِ الشِّعْرِ يأتي النورُ فاسَّاقَطْتُ في البرِّ قصاصاتٍ من الشِّعْرِ. مَصِيري عند أهواءِ الرياحْ .

كان همسٌ عَرَبيٌّ يَعْبُرُ الوادي ويأتي عند كوخي ، وعَبيرٌ أطلقوهُ من قواريرَ أتاني، واسْتَراحْ .

والثواني تحملُ الآهاتِ في بطءٍ ، وتَمْضِي . تختفي في أَزَلٍ أيامُهُ لَغْوٌ ، ونارٌ ، وجروحْ .

فَبَدا كلُّ تراثِ العُرْبِ في قلبيَ صَمْغًا ومديحًا .. والمعرِّي شاخِصٌ يبحثُ عن إحدىٰ نُجَيْماتِ الطفولهْ .

لم يَجِدْها فَابْتَنَىٰ سِجْنًا من الأوزانِ واسْتَجْلَىٰ القبورْ .

وعَلَىٰ البُعْدِ تَبَدَّتْ ساحةُ الذِّكْرِ اخْتِناقًا . يَلْهَجُونَ «اللهَ .. أللهَ» فَتَكْتَظُّ حروفُ اللامِ في زَحْمَةِ طِيْبٍ ، وبَخورْ .

يَـلْـهَـجُونَ «الـلـهَ .. ألـلـهَ» فَـتَـمْـضي الـهـاءُ وَمْـضًـا يَـنْـطَـفي عَـبْـرَ هَـديـرٍ لـلـدفـوفْ .

سَـمَـقَـتْ مِـئْـذَنَـةٌ عـذراءُ فـانْـسَـابـتْ طـيـوفٌ نـحـوهـا ثـم اسْـتَـكـانـت حَـوْمَـةُ الإيـقـاعِ فـي وَجْـدٍ مـهـيـبْ .

فـابْـتَـدَأنـا فـي حـديـثِ الـلَّـغْـوِ لا نَـلْـوِي عَـلَـى أمْـرٍ، وكـان الـشـايُ فـي الإبْـريـقِ مـصـبـاحًـا تَـخَـفَّـى واسْـتَـكـان الـنـقـشُ فـي الأكـوابِ عـن حـربٍ مـن الـمـاضـي الـسـحـيـقْ .

وعَلَى الجدرانِ تَخْبو موعظاتُ الكتبِ
الصفراءِ لا تَقْدِرُ أن تحجُبَ عنَّا الطَّعناتِ
الغادراتْ .

كان في كوخي بقايا من ضياءِ
الأنبياءْ .

وكتابٌ عن مجونِ الأنثياتْ .

في عصورِ الوأدِ، والعشقِ المُميتْ .

كيف أَنْسَى خَصْرَها المحتالَ، والهمسَ، ونهراً من عبيرٍ بين نهديها غَفا بالسُّرَّةِ – الحرفِ البدائيِّ المُشينْ .

إنني في حَضْرَة النورِ خلال الزُّرقةِ العُلْويةِ القصوى تَشَهَّيْتُ أراها ثم لَمْ تأبَهْ وولَّتْ كالهباءْ .

للظلامِ الخافتِ الضوءِ فأين الخافِقُ الملهِمُ .. أين الومَضاتْ؟

أين حرفُ الشِّعْرِ إذ جُنَّ فصار البرعمَ الأوحدَ في أرضٍ خلاءْ؟

وإلامَ النارُ أشتاقُ إليها؟ أحمِلُ الأنغامَ في روحي، وأدنو من أراضي الغُرَباءْ .

آهِ لكني تراجَعْتُ إلىٰ كوخي هروبًا من جنونِ السَّفَرِ الأهوجِ. إنَّ البحرَ يُفْضِي لأقاصي الصَّحَراءْ .

والمَعَرِّي قد رَأىٰ ومْضَةَ شِعْرٍ بَزَغَتْ في جَفْنِهِ فانْساب يَشْدو مُمْعنًا في الكبرياءْ .

الحركة الرابعة

في عيونِ الهُدهدِ المرتابِ يندسُّ
جنونُ الجنِّ والليلِ فيغفو في رؤىٰ
الموتِ . شَعَرْتُ اللهَ قِنْديلاً تخَفَّىٰ في
الغيومْ .

يا ليالي تَخْتَفي ظُلْمَتُكِ العاتيةُ الأنواءِ
في عَيْنَيَّ ، والريحُ اشْتِهاءُ لحناياي
وإنَّ الفارسَ الشاعرَ في نَفْسي مخيفٌ
يَتَلوَّىٰ في الرحيلْ .

ورحيلي يتمادَىٰ نحو سِرِّ الأرضِ في الأغوارِ . كان الفَرَسُ الأسودُ يَهْذي فدروبُ الليلِ تَرْمينا بعيداً ، والنّدَىٰ يَنْهَلُّ في الفَجْرِ دموعًا للنخيلْ .

وأنا أنسابُ شوقًا حاصرتْني وَسْوَساتُ التُّرْبةِ القاسيةِ المَلْمَسِ ، واللهُ اسْتَوىٰ ياقوتةً تَسْكُنُ قلبي ، والشّجَىٰ يحتلُّ عَيْنِي من سنينْ .

هذه الوديانُ إنِّي ساكِنٌ فيها ولكنَّ صراخَ الطائرِ الخائِفِ يَلْتفُّ بجسمي خَدَرًا، والشاعرُ الحالمُ في روحي عذابٌ، وطيوفٌ، وشرودْ .

لَذَّةٌ تجذبُني نحو التهاوِي أفضحُ الأمطارَ إذ تعشقُ في أعماقِ هذي الأرضِ آلافَ الجذورْ .

لمَسامِ الطينِ في الأغوارِ أرنو . أسمعُ المستنقعَ الزاخرَ بالشهوةِ ، والرائحةِ البُنِّيَّةِ الحمراءِ إذ يَحْكِي بداياتِ الوجودْ .

إنَّ مِسْكَ الطينِ لا يَقْدِرُ أنْ يكتُمَ همسَ الدَّنَسِ الدافئِ في أحشائِهِ الغَضْبَى ، ولا يقسو بهذي البَذرةِ المُلقاةِ تَسْتَجْدي البزوغْ .

وقُرَى النملِ أفاقَتْ لوصولِ المَطَرِ الشتويِّ في قلبِ الجحورْ .

يا ليالي حَفْنَةً من هلوساتٍ كنتُ في
الغَوْرِ الخصيبْ .

وجنونُ الجنِّ والأمطارِ يَنْثَالُ عَلى
جِسمي. شَعَرْتُ اللهَ أنغامًا تَخَفَّتْ في
الهُطولْ .

صرختي – العِشْقُ أتَتْ من ملكوتِ
الطهرِ في البُعْدِ السحيقْ .

هاهي الرِّعْدَةُ تأتيكَ فؤادي لتَرَى
الكونَ جميعًا لثوانٍ وتغيبْ .

نَـمْـنَـماتُ النـورِ فـي الظُّـلْـمَـةِ تنـسابُ ،
وأنـسـامُ خـيـالٍ سـارحٍ فـي الـوصـلِ ،
والأنهارُ ترنو للنجومْ .

ونخيلُ الشاطئِ النيْليِّ يَسْهو ثم يَصْحو
لمرورِ القاربِ الفِضيِّ وَهْنًا ، ولصوتِ
الرفرفاتِ الزُّرقِ إذ تحملُها الريحُ.. وآهٍ
إنه الفَجْرُ سيأتي آخذًا روحي إلىٰ وادي
نزاعاتِ العطورْ .

فهَرَبْتُ .

آهِ لكني رَجَعْتُ .

لارْتِباطٍ أبديٍّ بين روحي ، ودماءِ الفقراءْ .

أَسْكُنُ الأعشابَ قُرْبَ النيلِ ، والنورِ فأُصغي لبلادِ النقشِ في الأحجارِ، والأُبَّهَةِ المِسْكيةِ الأرجاءِ ... والناسُ الْتِذاذٌ بالخشوعْ .

أَسْلُكُ الرمضاءَ لا أشكو . أُحيلُ الشمسَ شِعْرًا في الصحارِي وأهيمْ .

الجزء الثانى :

١- التحاورات الداخلية حول البقاء في البلد الجحيم.

٢- قصص الفَتَى عن المتاعب الملونة.

٣- الدوران اللانهائي في تلك الأجواء المهيبة.

٤- الأحلام.

٥- عثرات الفرس الأهوج.

٦- دخول الأصوات الحزينة خلال المقاطع الحزينة.

٧- قصيدة ناقصة وجِدَت تحت صخرة في بلاد غير بعيدة.

التحاورات الداخلية حول

البقاء في البلد - الجحيم

إلى دستويفسكي

..... وفي حانةٍ خُنِقَتْ بالحَكايا أعادَ السُّكارَى بناءَ الوجودِ، وهُدِّمَ في الصبحِ لَمَّا أفاقوا ولكنني قد ذهبتُ لأنشى اسْتَراح لديها الهُيامْ .

أُفَكِّكُ نَفْسي نَبيذًا عليها فَمَا لخيولي تُحَمْحِمُ ؟ قد قلتُ إنَّ رحيلي مُحالْ .

هنا الريحُ تأخذُ منِّي شُرودي ، وآخذُ منها روائحَ كلِّ البلادْ .

نحيبُ قُبيلَ النجومِ دعاني فَهَمْهَمْتُ خوفًا ، وكان اخْتِلافُ المساراتِ بين النجومِ يُبِيْنُ اخْتِلافَ المساراتِ بين الليالي وبَيْني فَهَمْهَمْتُ خوفًا . وها جَذَبَتْني مصابيحُ بَحْرٍ فَتِيٍّ.. هناك وراء العُبابِ جنونُ الخرافاتِ فانْتَفَضَ الضوءُ من كلِّ لونٍ ..... وفي حانةٍ خُنِقَتْ بالتمنِّي أَعَدَّ السكارَىٰ الْتِماسًا إليهِ!! « نريدُ الوصولَ لنِيْلٍ بغيرِ بكاءٍ علىٰ ضفّتَيْهِ ». بكاءٌ بكاءٌ وآهٍ فإني أُخذتُ بخيطٍ من النورِ نحو طيورٍ تهاجرُ . ها مَلَكوتُ الفضاءِ انْتِشاءُ فإنْ مَرَّ بالبحرِ جاءَ ازْرِقاقٌ يحاصرني واسْتَبَدَّ الشّجَىٰ بمصيري . سأرحلُ لكنني قلتُ إنَّ رحيلي مُحالٌ . رحيلي مُحالْ .

رَجَعْتُ إليها ، وكانت كَسُنْبُلَةٍ قد نَسُوها ببعضِ الحُقولِ البعيدةِ بَعْدَ الحَصادْ .

أُفَكِّكُ نَفْسي دموعًا عَلَى راحتَيها، وأنسَى ارْتِجافي من الظلمِ ، والريحُ تمسحُ عني سَقامي وأمْسَحُ عنها وساوسَ كل البلادْ .

أبريل 1973

قصص الفَتَى عن المتاعب الملوّنة

تسكنُني الأرواحُ في المَغيبْ .

هناك شاطئٌ أجيءُ – كلَّ لَيْلةٍ –لِلَيْلِهِ .
غريبٌ حالمٌ يجيءُ نحوَهُ غريبْ .

دخلتُ في ذهولِ رؤيةِ النجومِ . كانتِ البحارُ تُخْفِي سِرَّها في باطنِ الصخورِ، والأمواجُ لا تعبأُ بالذي يدورُ في البراري بينما تَسْكُنُني الأرواحُ منذ مَقْدَمِ المغيبْ .

لذا لنارِ الأرجوانِ قد ذهبتُ . إنني أُخَبِّئُ الرؤيا ، وأسْتَميلُ خَصْرَها لهَصْرِها، وأستحمُّ في النيلِ على سُنَّةِ شِعْرِ المُتَنَبِّي ، وأنامْ .

في ليلةٍ من الليالي أَوْرَثُوني للبخورِ، للتعاويذِ التي من زَمَنٍ حُصونُهُ حُطامْ .

لقد غرِقْتُ في بحورِ الهَمْهَماتِ في التسابيحِ التي ثوابُها بآخرِ الزمانْ .

لكنني انْسَلَلْتُ نحو جَبَلٍ ظلامُهُ يُفْضِي لجوهرِ الإلهِ .... صِحْتُ ما الذي يَدُورُ في المَتاهَةِ التي تُدْعَى الوجودْ ؟

كأنّ نوراً قد أجابَ دَوْنَ أن يجيبَ ، والأشياءُ كانت في تَماثُلٍ كأنّهُ اخْتِلاجُ ألفِ طفلٍ نائمٍ وها هي الأحلامُ تَحْمِلُ الندى - الأسَى ... هَتَفْتُ في الفضاءْ .

فارْتَعَدَتْ حَمامةٌ في عُشِّها، واسْتَيْقَظَتْ عذراءْ .

ناديتُ يا بِحَارُ ما الذي يُباحُ للأسيرِ
غيرُ قَيْدِهِ ، وبضعُ غَمْغَماتٍ للسماءْ ؟

كأن رعداً قد أجاب دون أن يجيبَ فالبِحارُ
سِرُّها دَفينٌ في دَخِيلَةِ الصخورْ .

لذا لنارِ الأرجوانِ قد هربْتُ . إنني أُخَبِّئُ الرحيلَ خاطرًا ، وأَسْتَدْعِي مَفازاتٍ تموتُ دُوْنَها الأرواحْ .

جَلَسْتُ عند نخلةٍ قد تَسْتحي إنْ زوَّجوها في مواسمِ الرياحْ .

أنتظرُ الخلاصْ .

مايو 1973

الدوران اللانهائي
في تلك الأجواءِ المهيبـة

تَسْتَرْخي في قلبي الأهواءُ خُدوشًا
ككلامِ الحُبِّ المنقوشِ عَلَى الجدرانِ
الأثريهْ .

خَطُّ الحظِّ بكفِّي يَتَحَرَّشُ بالأقدارِ ،
ورائحةِ الفُلِّ ، ويَنْفَضُّ قُبَيْلَ مُضاجَعَةِ
امْرأةٍ غَجَرِيّهْ .

وتَجيءُ سحابةُ ليلٍ يُثْقلُها نورُ الأقمارِ
فتسكنُ ساهمةً في الظُّلُماتِ العُلويهْ .

حُبّي لفتاةٍ لا تَبْرَحُ مِخْدَعَها عَلَّمَني أنْ أتسلّلَ نحو الأبوابِ الخلفيهْ .

وأفكَّ طلاسمَ كلِّ الأقفالِ ، وكان بحُجْرَتِها عَبَقٌ نَزِقٌ مغرورْ .

لكنَّ الوَجَلَ الفِضِّيَّ المُتَلألئَ في عينيها أرعشَني ، والخَفَرَ النِّسَويَّ الكامنَ فيها حينَ انْكمشَتْ يجعلُني خَدِرًا حَذِرًا كإلهٍ مُنْهزمٍ مَسْحورْ .

ولذا أيْقَظْتُ الخَفقاتِ ، وأشعلتُ الألوانَ
أقاصيصًا بين يديها حين هَمَسْتُ بكلّ
الشِّعْرِ المحظورْ .

بين السُّرَّةِ ، والنهدينِ حديقةُ أزهارٍ في
شَطٍّ مهجورْ .

ما أحدٌ يدري أن فؤادي عُنْقودٌ تتنازعُهُ
الأطفالُ ، وأن الرؤيا تَغْمُرُني تَغْمُرُني.
ظُلُماتٌ ظُلُماتٌ ، وأنا كالهمسِ المُنْبَعِثِ
من البَلُّورْ .

ذلك أنَّ المرتبكَ الأعظمَ ، والمُطَّلِعَ الأعظمَ يلتقيانِ لثانيةٍ كشعاعينِ من النورْ .

إذ ذاكَ سيُمْكِنُني أن أُحضِرَ حرفَ الصادِ وأشبكَهُ بالواوِ ، وأُلقِي بهما في الموسيقَى . حينئذٍ يُخلقُ عُصْفورْ .

ذلك أنَّ غَماماً يَسْكُنُ في دَعَةٍ . مَنْ يجسُرْ أنْ يَنْفُذَ منْهُ يَغْدُ الروحَ المنطلِقَ المأسورْ .

تتعذبُ يا شاردُ . حامَتْ رغباتٌ مُبْهَمَةٌ حولكَ. إنْ تتركْ روحَك للآفاقِ تلاحقْها الأحلامُ ..... يطيرُ فَرَاشٌ تجذبُهُ صاعقةٌ نحو النارِ النارِ النارِ. كأنَّ الأشجارَ تحاولُ أن تتراجعَ ذُعْرًا من هَذِي النارِ كأنَّ النهرَ يخافُ من اللهبِ الراكضِ في البَرِّ . تحولَتِ الأنغامُ إلى دَفَقاتٍ تأكلُ أزهارَ السَّفْحِ وآهٍ... فالمخطوطاتُ الأثريةُ في قلبي عن أحزانِ الدهرِ احْتَرَقَتْ فبدا المتنبي نَشْوانًا يتعذبُ ، يركض بالفَرَسِ الأشْهَبِ . يصرخُ في الصحراءِ فيجتمعُ الفقراءُ وراء الأشعارِ النورانيهْ .

فتُراق دماءُ، ويُراق نَبيذٌ ، وتهمُّ مساحاتُ الدنيا أن تتغيرَ لكنْ..... تنطفئُ الأحلامُ وأرجعُ تَسْتَرْخي في قلبي الأهواءُ خُدوشًا ككلامِ الحُبِّ المنقوشِ على الجدرانِ الأثريهْ .

سبتمبر 1973

الأحلام

هَـلْ دَخَـلَ الحَـلَـكُ الـهـادئُ فـي نـومِ الأطيارِ؟ إذن فاللونُ الفِضِّيُّ مع القَفَزاتِ السِّحريةِ للجِـنِّ بدايةُ أحلامي . كانت نَـشَـواتُ العشاقِ صعودًا كالأطيافِ إلىٰ كـونٍ وهـمـيٍّ ، وأنـا مُـنْـدَمِـجٌ بالريـحِ ، ومنسـاقٌ لأشعـةِ كـلِّ الجـزرِ المهجورهْ .

وقميـصـي مُـخْـتَـلِـطٌ بروائـحِ أعشـابٍ ، ووساوسَ ، وحكاياتْ .

مذهولٌ مركَبنا الغِرُّ بإشعاعاتِ الآفاقِ فإنْ جاء الإعصارُ تلاشَىٰ كالآهاتْ .

لم يجرؤْ أحدٌ أن يسترسلَ في عَتَماتِ البحرِ فأشعَلْنا الروحَ ببضعةِ أشعارٍ ودخلْنا سلطانَ الإنشادْ .

هيا فلتأتوا بالقنديلِ إلىٰ أعماقِ البحرِ. هنالك يَرْتَعِدُ القلبُ جلالاً من شَطَحَاتِ الألوانِ ، ومن همسِ الرغباتْ .

تنبثقُ غرائزُ كلِّ المخلوقاتِ صراعًا أبديًّا فكأنَّا نَشْهَدُ بَدْءَ الإنسانِ مع التكويناتِ المُبْهَمَةِ الأولَىٰ ، ونَرَىٰ سرَّ الخَفَقاتْ .

ليلةَ حاصرني الإخفاقُ أنا روحٌ محبوسٌ خلفَ سِتارٍ في قصرٍ هجرَتْهُ الأعوامْ .

وسْوَسَةٌ....ظُلُمَاتٌ ، والأزهارُ إذا عَبَقَتْ أَغْرَتْ حياتِ الوادي ، واسْتَسْلَمَتِ الأنغامْ .

رحتُ إلى الله – وكنتُ شَكُوكًا – حوَّلَني جِسْرًا لم يَعْبُرْ أَحَدٌ مِنْهُ منذ قرونْ .

محكومٌ بالتَّرْحَالِ ، وأفزعُ من كلِّ الرايات
المرفوعةِ في البَرِّ.....أمَا تأتي يا مطرًا
ليليًّا ؟ في حَضْرَتِكَ مباحٌ أنْ أصرخَ
منتشِيًا ، ويصيرَ حضوري أن أتلاشى
في الأنوارْ .

هيّا فلتأتوا بالقنديلِ إلى أعماقِ البحرِ
فإنَّ الحيواناتِ المَرْجانيةَ راحت تتلوَّى
في نشواتٍ ماجنةٍ حَيْرَى ، والأصدافَ
انْتَشَرَتْ في ترتيبٍ فوضاويٍّ كنجومٍ
شتَّى . سترَوِّعُكم نارُ الرغباتِ بقاعِ
البحرِ، ولو أَشْعلتم قِنْديلاً في النفْسِ
تُميتون سنينًا من جَدَلٍ أعمى . لن
نهربَ هَذِي المرّةَ من تلك الحُمَّى.
حُمَّى البؤساءِ ذوي الأخيلةِ الشيطانيةِ
يا للنارْ .

ليلةَ حاصرني الإخفاقُ أنا بَيْتٌ شِعْريٌّ مندثِرٌ بكتابٍ مَنْسيٍّ . في روحي تصطرعُ الأزمانُ ، وتومضُ كلُّ أساطيرِ العَرَبِ المجهولينَ ... وآهِ أكادُ أحسُّ عذابَ الأفلاكْ .

ليس هنالك فَرْقٌ بين هُنا – الروحِ وبين الروحِ هناكْ .

أين زمانٌ كانت عيناياَ بهِ معجزتينِ أَرَىا نورَ النجماتِ تباطأَ مثلَ الزغبِ الأبيضِ في ريحِ الظلماتْ ؟!

أين امْـرَأةٌ شَهْوَةُ عَيْنيها تأخذُني لطقوسِ الجنسِ لَدَى القدماءِ، وتَنْقُلُني لتزاوجِ أشجارِ الغاباتْ ؟!

أقرأُ فيها القصصَ المكتوبةَ بين النهدينِ، وأستَجْلِي غَيْبَ الأنثى في السَّحَرِ الصيفيِّ المُتَماجنِ بالنَّجْماتْ .

إنْ جاءت « أَيْنَ » تَعَذَّبْتُ ، وإنْ ولَّتْ ذَهَبَتْ كلُّ الأبعادْ .

والصمتُ هو الظُّلُماتُ النورانيةُ يَتَخَفَّى خَلْفَ الوديانِ ، ويحلمُ بالربِّ الكامنِ في الأضدادْ .

آلافُ الأحلامِ الزرقاءِ هو البحرُ، وأشواقٌ كالأصْفادْ .

سأموتُ ، وتَبْعَثُني الغيبيّاتُ إلى مَلَكوتٍ - كلِّ الأشياءِ - ولا شيءَ فهيَّا هيَّا.إنْ أطلقتم قافلةَ الأحلامِ أعلّمْها أنْ تدخلَ في الأوزانْ .

فالقلبُ وليدُ سُلالاتٍ تمتدُّ بعيداً حتى شِعرِ سليمانَ مروراً بالمتنبي، وهروبًا من نارِ القرآنْ .

أبكاني أنْ أجدَ النارَ به فمكثتُ سجينًا
في إحدىٰ الآياتِ النورانيةِ ثُم هربتُ
إلىٰ الوديانْ .

آهٍ فالفقراءُ هناك يُحسُّون الغيبَ القادمَ
من كل الآفاقِ، ويكتتمونَ الزَّنْدقَةَ النارية
في ظُلُماتِ الوجدانْ .

ربٌّ في كلِّ الأشياءِ وإلحادٌ عَدَمِيٌّ
في كلِّ الأشياءِ ، وأقصىٰ أعماقِ البحرِ
بداياتُ النيرانْ .

نوفمبر 1973

عثرات الفرس الأهوج

سُـرورٌ عَـبْر أسمـاءِ السمـاءِ ومن سَـمَا نَزَلَتْ له الأهوالْ .

بِدقّاتِ الدفوفِ من البداياتِ القديمةِ، بالأريجِ الفَذِّ من عصرِ البَدَاوةِ تُشْعَلُ النيرانْ .

تَخُبُّ الآن قافلتي ، وتنـزَحُ نَحْـوَ شَطٍّ ساهمِ الأشجارِ . سوف تموتُ قافلتي. هي الأوهامْ .

وألْـفُ مَـفـازَةٍ فُـتِـحَـتْ . تَـخَـيَّـرْتُ التـي تُـفْـضِـي إلىٰ رَقْـصِ الـعـذارىٰ . سـوف أهـلِـكُ دونـهـا وَحْدي ، وأدخـلُ في الرؤىٰ ، وأنامْ .

يُعَذِّبني اتْصالُكِ بالينابيعِ المُضيئةِ عَـبْـرَ روحي . مِنْ عـهـودٍ قد مَضَتْ كنّا نُحضِّرُ ذلك الوصلَ الشموليَّ الذي ما عاد يشعرُ بالزمانْ .

أتيتُ إليكِ ... قَـلَّلَ سَكْرَتي أني شعرتُ الريـحَ ترقُـبُـنـا ، ونيرانَ الصـحـارِي، والظلامْ .

تَلوحُ النارُ من بين الحروفِ إذا لَدَيْكِ
بُعِثْتُ شِعرًا . قد رأيتُكِ منذ أزمانٍ
مَضَتْ أنثى تجيءُ مع اكْتِمالِ البدرِ ثم
تَغِيْبُ طيفًا . ذاتَ ليلٍ كنتُ غَفْلانًا
أَتَتْني ... ضاجَعَتْني مُرْغَمًا ، وتزوّجتْني
قبل أن أُفْضي بحرفٍ واحدٍ لكنها
فَرَّتْ مُعَذَّبَةً ، وظلتْ في انْتِظارٍ عَبْرَ
أزمانٍ طوالْ .

سيخطفُكِ الحيارَىٰ لو رحلتِ معي . همُ الثاوون في الوديانِ ينتظرونَ مَنْ حَمَلَتْ همومَ الروحِ في جَسَدٍ مَجُوْسِيٍّ . همُ الأغرارْ .

سيخطفكِ الحيارَىٰ . إنني غيرانُ من كل العيونِ . تكادُ تحكمُني الحكاياتُ القديمةُ . لَيْتَنا ننأَىٰ عن الدنيا مسافةَ ألفِ عامٍ كُلُّهُ إبحارْ .

يروحُ تَخَوُّفِي حتى عشيرتِنا السحيقةِ.
إنه الإسلامُ قد وَشَمَ البداوةَ في إهابي .
سامحيني . كيف أنجو من طقوسِ بكارةِ
العذراءْ ؟

أنا إذ حاصروني – أهلُ مكةَ – واسْتَغاثوا
كنتُ أقسَى من فَلاةٍ يُدْفَنُ
الموتَى بها ، وأرقَّ من أنفاسِ أطفالٍ
تنامْ .

كأنّ «الشَّنْفَرَى» بُعِثَتْ خُطاهُ فاسْتَفاقَ مُحَيَّرًا ظَمِئًا يمجُّ الناسَ ، يهرُبُ من وِشاياتِ الخِيامْ .

هنا نارٌ، وذَيَّاكَ المسافرُ في الدُّجَى ريحٌ ولو تبقَى الرياحُ ، وترحلُ النيرانُ ماتت حَفْنَةُ الحكامْ .

طُفولتُكِ انْسلَلْتُ بها سمعتُ هناكَ أسحارًا تُضاءْ .

ومَنْ ذا يختفي في سَوْسَنِ السَّهلِ السَّخِيِّ سواكِ؟ أنتِ الآنَ أهملْتِ الضفائرَ ثم أسْلَمْتِ الذي أسْلَمْتِ لي فكأنني دَخَلَتْ عليَّ بليلةٍ أبكارُ إنشادِ النشيدِ جميعُهُنّ ... كأنها الرَّمضاءُ تَفتِكُ بالشتاءْ .

يروحُ تخوُّفي حتىٰ عشيرتِنا السحيقةِ .. كيف أنجو من طقوسِ بَكارةِ العذراءْ .

1976 - 1975

دخول الأصوات الحزينة
خلال المقاطع الحزينة

بكَـيْـتُ مشحـونًا بقوّةٍ من الإعْـصارِ
كالأنهـارِ ، والـرُّؤَىٰ تَـجِـيءُ مـن عهـودٍ
خاليات تحملُ الأسرارْ .

وها أنا في بـيـتِ شِـعْـرٍ مـوغـلٍ في
الحُـزنِ قـد تَـرَكْـتُ نَـفْـسِـي أسـمَـعُ
الإيقاعَ يأتي من زمانِهِ السحيقِ في
القِفارْ .

حَـلَـمْـتُ بالحُـسَـيـنِ كان يـشعُـرُ الإعجازَ
في مَـجاهِـلِ الأفـلاكِ راحـلاً بـرُوحِـهِ
إلىٰ منابعِ النُّجُومْ .

ويَسْمَعُ التنفسَ البطيءَ للنخيلِ ،
يرقبُ التحيُّرَ الشَّجِيَّ في الْتِفاتاتِ
الطيورْ .

وإذ حَنَا على البراعمِ الصِّغارِ في
الدُّجَى حُوصِرَ بالتزاوجِ الليليِّ
للزهورْ .

رأيتُهُ في ظُلْمَةِ القتالِ حالمًا تدورُ
وَسْوَساتٌ حولَهُ ، وقلبُهُ ربٌّ يُحَاطُ
بارْتِعاشاتِ الضُّلوعْ .

هتفتُ يا حُسَينُ إنني سمعتُ الصَّخْرَ وهْوَ يُضْمِرُ الأنهارَ في أحشائِهِ ، وأنتَ في البيداء ظامئًا تموتْ .

هتفتُ ، وانْتَهَيْتُ ، والحُسَينُ يَنْتَهي فجُنَّتِ الصحارَىٰ بالأسَىٰ فيهبطُ النَّدَىٰ (مُخَالِفًا مواعيدَ هبوطِهِ التي حَدَّدَهَا لهُ الإلهُ في السما) فيَمْسَحُ الرأسَ الجريحَ آخذًا شكلَ الدموعْ .

أصــوات

من ذهبٍ هي الأباريقُ التي تُصفُّ في
مجالس الخليفةِ المختارْ.

هناك هَيَّئوا مواعيدَ زوالنا وكنا مثلما
العشاق في انْـتـظـارْ.

وآه إنَّ قَيْنَةَ القصورِ تُفْضِي نحو ليلٍ
مَسَّهُ العبيرْ.

بصوتهـا ارْتعاشـةٌ كأن أنثـىٰ تَخْلَعُ
الدِّثَارْ.

وبالغناءِ وَحْدَهُ تُعذَّبُ الأقدارْ.

سَتَهْبِطُ النجومُ ثم تُبْعَثُ التساؤلاتُ للذي يَخْلقُها، ويمَّحِي العَمَاءُ عن بعضِ العيونْ .

ومن تَحَيَّروا خلال البحرِ، والليلِ قلوبُهم بدايةُ الجنونْ .

أصــوات

نحن الذين حُطِّموا عشقًا أمامَ منزلِ الأحبابْ.

رحنا نموتُ في القِفارْ.

لذا الرياحُ حوَّلَتْ أطيافَنا نورًا يَرُوحُ نَحْوَ قَبْرِ الشاعرِ المجنونْ.

ولحظةَ الوصولِ نَحْنُ النارْ.

صَعِدْتُ نحو الفَجْرِ. إنه الطيوفُ راجعاتٍ من زيارةِ القبورْ.

وفي الصحارَى تختفي أصواتُ أهلنا القدامَى. تختفي بين الرمالِ، والصخورْ.

كان النَّـدَى المنسابُ في ظُـلْمةِ هذا الفجرِ مُشْجِيًا ، وآسرًا كأنما هي الدموعُ من دَوْحَتِها العليا تجيءُ نحونا تباركُ الحياهْ .

أصـوات

عجـائزُ الأشـجـارِ تَـرْقُـبُ الريـاحَ من بعيـدٍ ، والـشـروقُ ألـفُ عـاتٍ ، والهوى منازِلُ الأغرارْ .

أسواقُنا تَـضِـجُّ بالمشاحناتِ ، والأباطيلِ وها تجذبُنا الأسفارْ.

إلامَ آتي كلَّ فَجْرٍ للصحارَىٰ عاتبًا
مُستَعْتِبًا أراقبُ القوافلَ المسافراتِ
تحت إمْرَةِ الدفوفْ ؟

وكيف أبكي كُلَّما رأيتُ فِعْلَ شَطْحةٍ
سِحْرِيةٍ تُدْعَى الرحيلْ .

تَرَجْرُجُ النساءِ في الهوادجِ المسافراتِ
صَبْوَتي . أميلُ إذ تَمِيلْ .

أصــوات

لكننا سكانَ هذه البلادْ.

حُمُولـةٌ كبيـرةٌ كانت تُسَـمَّى[1] سالـفًا

تجـارةَ الرقيقْ.

فلْتدخُـلِ النيرانُ في المساءْ.

فلْتدخُـلِ النيرانُ في النهارْ.

ولْتدخُـلِ النيرانُ في مجاهلِ الأقدارْ.

انتهت في سبتمبر 1976

قصيدة ناقصة وجدَتْ تحت
صخرة في بلادٍ غيـر بعيدة

بَعُدْنا... سواعدُنا تَهْتَدِي بوميضٍ بعيدٍ يضيعُ إذا ما اقْتَرَبْنا . حَوَتْنا المقاديرُ دهرًا لذا قد بَعُدْنا. دمارٌ بكل البلادِ التي هَجَرَتْنا، نفوسٌ مُحَمَّلَةٌ بالجروحْ .

وأنتَ !! يوسوسُ ربٌّ بعَيْنَيكَ : إنَّ الشتاءَ غروبٌ كبيرٌ . ستنقُلُكَ العَتَماتُ إلى زُرْقَةٍ لا تبوحْ .

لتدخلَ عَبْرَ سَماءٍ تُغَيّرُ أحوالَها . قَذَفَتْكَ المحيطاتُ نحو المَدَى . لا يداكَ اهْتَدَتْ لا طيورٌ تَلوحْ .

عهوداً من الليلِ والنارِ كنتَ ، وجاءَ نهارٌ تَخَفَّيْتَ بين السنابلِ . جاءَ غروبٌ كأنكَ سِرٌّ إلى الصَّحَراءِ يَرُوحْ .

مئاتُ السنين تلاشَتْ وما جاء يومُ الحصادِ لذا قد بعُدْنا بعُدْنا . تَفَرَّدَتِ الكائناتُ رأينا الفضاءَ ضَياعًا سحيقًا. تَوَحّدتِ الكائناتُ فكان الوجودُ ظلالَ النخيلِ ، ونحنُ لَدَيْها حُضُورْ .

وكنتَ نبيًّا من الأقدمينَ رَأَىٰ اللهَ حُلْمًا فقال لَهُ : أَعْطِنِي نَجْمَةً ، واعْتَزِلْ لَيْلَةً أحشدِ الناسَ وقتَ طلوعِ الندَىٰ في قصيدةِ عِشْقٍ إليكَ إليكَ ... فعاقبَهُ اللهُ: سبعَ سنينٍ يجيءُ له الشِّعرُ دون حروفٍ، وسبعَ سنينٍ تَجِيءُ لَهُ الكلماتُ بغَيْرِ شعورْ.

تَفَرَّدَتِ الكائناتُ تَفَرَّقَ في الكونِ نورُ
السماءِ . تَوَحَّدتِ الكائناتُ فكان الوجودُ
حديقةَ وَرْدٍ ومن حولها الحالمونْ .

بَعُدْنا بَعُدْنا ----------

1981

الجزء الثالث :

١- المتصوفون الشعراء في الزمن العصيب .

٢- المتصوفون الشعراء في القرية الظالمة .

٣- المتصوفون الشعراء يرحلون في الأزمان .

المتصوفون الشعراء في الزمن العصيب

يا مُلْتَقَى الأحلامِ يا سُهْدًا أتانا ... ومضةٌ في الليلِ تأتي ثم تَتْلُوها دُفُوفُ الشِّعْرِ، تَتْلُوها الينابيعُ المَنيْعةُ في الأقاصِي. قد دَخَلْنا في السَّدِيمْ .

نحن النجومُ إذا تكشَّفَتِ الصَّحارِي . كلُّ شيءٍ قد حَوَيْناهُ ، وهذا الليلُ هِجْرَتُهُ لداخلِنا ، ونحنُ له نُهاجرُ..... مَكَّةُ في الحُلْمِ تأتي فانْثَنَيْنا ساهمينْ .

كنَّا الأسَى، وكَحَيْرَةِ الأنهارِ أين تَرُوحُ
كُنَّا . كالبكاءِ ، وكالشَّذَى كنَّا ، وأولَ من
شَدا . زَمَنٌ بعيدٌ جاء منه الشِّعْرُ. إنَّ
الشِّعْرَ نَخْلُقُهُ فيَخْلُقُنا ، ويرمينا إلى
النيرانِ لا نَشْكُو ، ولا نَرْمِيْهِ فَهْوَ الرَّبُّ
في الزمنِ العصيبْ .

لم نستطعْ رَدًّا على كلِّ الإهاناتِ
التي قد عذَّبتْنا . إننا كنا لَدَى
الأوغادِ نَدْخُلُ قَعْقَعاتِ السوقِ نحلُمُ
بالمحيطْ .

لكننا عَبْرَ الليالي أَدْخَلَتْنا القافياتُ
إلى عهودٍ ليس فيها غيرُ أشجارٍ ،
وقومٍ مثلما الأشجار، والكلُّ انْدِماجٌ في
الهَديرْ .

وَمْضٌ أتَى من صَيْحَةِ الرَّجُلِ البدائيِّ
الذي عيناهُ جُنَّتْ من تهاويلِ الليالي.
مَدَّ ساعِدَهُ إلى الأعلَى، وأوغلَ في
النحيبْ .

ومع الندَى تحت النجومِ تَهَيَّبَتْ
أنثى ، ومرَّتْ تَكْشِفُ النهدينِ في
شوقٍ جنونيٍّ لأولِ عابرٍ إذ كانتِ
الغاباتُ يسكنُها النَّشِيجْ .

هَذِي بداياتُ الزمانِ قُبيلَ أنْ تتكوّنَ
الأنوارُ في حَلَكِ النفوسِ ، وقَبْلَ أن
تأتي الجماعاتُ العظيمةُ حاملاتٍ
للمشاعلِ ، والهمومْ .

في أوّلِ الآبارِ كان الماءُ يَحْلُمُ بالبحارِ، وفي الينابيعِ احْتِراقُ العابرِ النَّهِمِ الذي لا يَرْتَوي . كيف الوصولُ إليكَ يا أنتَ الذي يا أنتَ يا... كيف الوصولْ ؟

تتداخلُ الأعماقُ بالأعلَى، وقيل هما الْتِقاءُ شاملٌ عبر الأقاصِي .. والتَّعَدُّدُ باطلٌ بُطلانَ ما يبدو إلينا في العيونْ .

وإذا ذهبنا للنهاياتِ التي تُمْحَىٰ بها كلُّ النفوسِ نَمُوتُ شوقًا ، واحْتِراقًا بالرؤَىٰ ، ونظلُّ روحًا غيرَ قابِلَةٍ إلىٰ التعليلْ .

كيف الوصولُ وأنتَ أَطْلَقْتَ الأناشيدَ المَهيبةَ في السماءِ فَضَلَّلَتْنا . آهِ لا تبدو وأنتَ المُنجلِي للعَيْنِ يا مِحَنًا تجيءُ ولا تزولْ .

ولَّى النَّدَى. ولَّى وقد كان اللآلئَ في رُؤَانا. ها قُرَى التجارِ ماثِلَةٌ. بها شمسُ الضُّحَى تَغْلُوْ، وتُسْرِفُ، والهَجِيْرُ كأنَّهُ كِسْرَى، ولكنَّا سنَدْخُلُها، ونهرُبُ بَعْدَ حِينْ.

سُحقًا لكم. لم تَشْعروا سِرَّ العذابِ الفَظِّ في أعماقِكم. فلتَنْبشُوا الأوحالَ من عَوَزٍ ولكنْ جَرِّبوا أنْ تُرسلوا أرواحَكم نَأيًا عن القهرِ المسيطرِ منذ آلافِ السنينْ.

إنَّا مع الأشعارِ نَسْتَجْلي هُياماً
في مُحيَّاكم ، وهذا النهرُ يَدْخُلُ
في لياليكم به شَجَنٌ وفي أعماقِهِ
سَحَرٌ مُبِينْ .

آهٍ وداعًا . إننا ضعفاءُ حَيْرَىٰ ما عَرَفْنا
مِثْلَكم شِيَمَ النخيلْ .

1976

المتصوفون الشعراء في القرية الظالمة

قريةٌ : في الليلِ أشجارٌ عَتيقاتٌ وفي
الفَجْرِ هَسِيْسُ العَتَماتْ .

دونما صوت دَخَلْنا . نَحْنُ صَمْتٌ يَتفانَى
نَحْنُ أرواحُ الطيورِ النائماتْ .

شَهَواتُ القريةِ انْسابت إلى صَفْوِ
الأعالي . آهِ والشهوةُ فينا بَعْضُ أشباحٍ
خِفافٍ لا تموتْ .

جِلدُنا فيهِ خُدوشٌ من نساءٍ مثلما النار
(كأنّا عَبْرَ أدغالٍ مَرَرْنا) آهِ يا أنْتُنَّ
يا سِرًّا منيعًا في بلاد الجَبَروتْ .

بين نهدينِ تراءتْ دَرَجاتٌ من أسًى
عاتٍ ، ونورٌ وخفوتْ .

نَحْنُ جئنا من عهودٍ وَهَبَتْنا الحقَّ في
أنْ نُدْخِلَ الأشياءَ في الإيقاعِ .....
أحلامًا.. شجيراتٍ.. بيوتْ .

ساحلاً..وهمًا..عَذَارى..كلُّ ما نحملُهُ نرميهِ للإيقاعِ صوتًا أو سكوتْ .

تَنْتَمِي الأشياءُ للأشياءِ في وَجْدٍ خَفيٍّ . أىُّ شيءٍ خَفْقَةٌ تَذْهَبُ ضِمْنَ الخَفَقاتْ .

داخِلَ النورِ ليالٍ . داخِلَ النارِ نَدًى.. كلُّ إلى الإيقاعِ ، والإيقاعُ ومْضٌ يَدْخُلُ الأجسادَ فِعلاً آمِرًا ... لكننا الآن بقايا الدمْدَماتْ .

كان كَهْلاً حاكمُ القريةِ . أحسسناهُ شيئًا من عهودٍ غابِراتْ .

حَوْلَهُ بضعُ خرافاتٍ ، وأطماعٍ هُمُو أَصْفادُنا نَحْنُ العبيدْ .

إننا السَّهْلُ الذي يُخْرِجُ أشجارًا لَهُ . نَحْنُ العبيدْ .

آهِ يا أجدادَنا عِشْتُم قرونًا في انْسِحاقٍ
ثم ولَّيْتُمْ ظِلالاً في السَّدِيمْ .

بعدما مَرَّتْ قرونٌ من ظلامٍ كان حتمًا
أن نكونَ اللعنةَ الغَضْبَى، كَلَيْلٍ قابعٍ
تحت المحيطْ .

لَمَسَتْنَا.. إنها بضعُ ثوانٍ مصطفاةٍ من
زمانٍ كاملٍ قد لَمَسَتْنَا فمَضَيْنا نَخْلُقُ
الأحلامَ مَلأى، بالجنونْ .

دَمْدَمَاتٌ.. دَمْدَمَاتٌ.. سيثورُ الحالمونْ .

دَمْدَمَاتٌ من عبيدٍ هَرَبَتْ أرواحُهم من قُمْقُمِ الكهلِ الرهيبْ .

كلُّ روحٍ هَرَبَتْ صارت كمَا صَفْو الأعالي لا يبالي بغيومٍ تَحْتَهُ أو بانْطِفاءاتِ المَغيبْ .

يا بـلادَ البَـرْقِ في أرواحـنـا هيَّـا فإنَّ الغايةَ القُصْوىٰ لدينا النارُ أن نُمْسيَ نـارًا . نحرقُ الأشـيـاءَ شـوقًا ، ودخـولاً للوجودْ .

آهِ لكنَّ الخيانـاتِ تراءتْ فَخَبا شِعْرٌ من النيرانِ يأتي . ماتَ من ماتَ وفي ذلٍّ يعودُ الآخرونْ .

وأتَـىٰ كهـلٌ جديـدٌ مَـنَـعَ الشـوقَ إلىٰ الأشجـارِ أو للنـارِ أو حتـىٰ لأنثىٰ. من ثوانٍ مُصْطَفاةٍ قد خَرَجْنا نخلُقُ الأحلامَ ملأىٰ بالظنونْ .

1980

المتصوفون الشعراء يرحلون في الأزمان

من خارجِ الأزمانِ جئنا . ألفُ قرنٍ مِثْلُ قرنٍ مِثْلُ عامٍ . مثلما ليل قديم عاشَ دهرًا داخلَ الأشجارِ كنَّا قبل أن نأتي إلىٰ الزمنِ العصيبْ .

في ظُلْمَةٍ لا تنتهي مَرَّتْ نجومٌ بَعْدَها مَرَّتْ نجومٌ . كلُّ نَجْمٍ شَعَّ معنًى ، واخْتَفَىٰ . ما كانتِ الظَّلْماءُ غيرَ النورِ، والأنهارُ غيرَ النارِ في جَبَلٍ جَدِيبْ .

بوَّابةُ الأزمانِ قد فُتِحَتْ على أرواحنا.
لمَّا أَفَقْنا لَم نَقُلْ عِشنا طويلاً . إنهُ
عُمْرُ المَغيبْ .

تتحوَّلُ الأحلامُ نَحْوَ مَجَاهلِ الصَّحراءِ.
نَحْنُ وراءَها سَعْيٌ وإسراءُ.....
خيامُ البَدْوِ قد هَلَكَتْ ونارُ
الأقدمينْ .

سَعْيٌ وإسراءٌ ... فَعُدْنا نُوقِظُ الأجدادَ.
سِحْرٌ أمسياتُ الشِّعْرِ في بغدادَ .
أَنْزَلْنا الرِّحالَ يُحِيْطُنا خَدَرٌ من
الماضي العَتيدْ .

اَذانُنا تُصْغِي لأنفاسِ الجواري
خَلْفَ أستارٍ ثِقالٍ . ليتنا كنا
هناكَ هناكَ نُعْطيهُنَّ لَوْعَتَنا ، ونأخذُ
ما نريدْ .

مُتَرَيِّثٌ فَظٌّ منيعٌ أيها الزمنُ
البعيدْ .

مُـتَـرَيِّـثٌ والـنـارُ تـأكـلُ عـاشـقـًا صَبًّا
لَهُوفًا يَسْتَحِثُّكَ أيها الكَهْلُ المَريدْ .

أرواحُـنـا تُـصْـغِـي : طـيـورٌ ، واشْـتِـيـاقٌ
جـارحٌ هـو صـوتُ جـاريـةٍ تُـغَـنِّي بـيـنـمـا
هـو مـاكـثٌ فـي غَـيِّـهِ سَـهْـمـانُ هـارونُ
الرشيدْ .

رُحْنَا لمكّةَ . بَهْجَةُ النيرانِ في الصحراءِ
مَـكَّـةُ . ألفُ ليلٍ سَرْمَديٍّ ، ألفُ شَـمْـسٍ
لا تَغيبْ .

سَفَرٌ طويلٌ . يالها من رحلةٍ عَبْرَ الصحارِي . كان أقساها الدخولَ بمُهْجَةِ الأعرابِ : أوهامٌ ، وأشواقٌ ، وصمتٌ كالنحيبْ .

ما كانتِ الصحراءُ غيرَ تتابعاتٍ دون معنى . آهِ موتٌ لا يغيبْ .

هَمَّ الفناءُ بخَطْوِنا لولا الندَىٰ ، وحديقةٌ في بَيْتِ شِعْرٍ قد أتَىٰ من عابرٍ وَجِلٍ شريدْ .

ومُحَمَّدٌ في الغَارِ مِشْكَاةٌ شَكاةُ
شاردٌ تأتي له الأحلامُ نوراً أَيْنَما
ولَّى تحاصرُهُ الحروفْ .

قد عَذَّبَتْنا هذه الآياتُ . ما وَزْنًا حَوَتْ
كيف احْتَوَتْ في روحِها بَطْشًا من
الإنشادِ كيف تزاحَمَتْ فيها قبائلُ
من دُفُوفْ ؟

ذاكَ الكتابُ جلالُهُ الأعلَى . دَخَلْنا
سورةَ الإسراءِ أشخاصاً خرجْنا
كالطيوفْ .

1981

المحتـــــوى

الجزء الأول :

١- افتتاحية 5

٢- القصيدة الأولى - أربع حركات 9

الجزء الثانى :

١- التحاورات الداخلية حول البقاء في البلد الجحيم. 45

٢- قصص الفَتَى عن المتاعب الملونة. 49

٣- الدوران اللانهائي في تلك الأجواء المهيبة. 55

٤- الأحلام. 63

٥- عثرات الفرس الأهوج. 73

٦- دخول الأصوات الحزينة خلال المقاطع الحزينة. 81

٧- قصيدة ناقصة وجِدَت تحت صخرة في بلاد غير بعيدة. 91

الجزء الثالث :

١- المتصوفون الشعراء في الزمن العصيب. **99**

٢- المتصوفون الشعراء في القرية الظالمة. **109**

٣- المتصوفون الشعراء يرحلون في الأزمان. **117**

أعمال الشاعر عادل عزت

	تاريخ الطبعة الأولى
١- المتصوفون الشعراء في الزمن العصيب	1983
٢- اختباء النور	1988
٣- العرب القدماء	1990
٤- هواجس الشاعر المقتول	1990
٥- السبعة	2000
٦- ظلام المرسم	2006
٧- البيت المسكون	2009

دواوين الشاعر عادل عزت على الموقع

www.adelezzat.com

السلام للطباعة
ت : 22989714 - 22960665 -22978425
فاكس : 22989251